دراسة في مصادر تاريخ وآثار الخليج العربي في عصوره القديمة

د. رضا جواد الهاشمي *

اعلت اعمال التنقيبات الاثرية الاخيرة من مكانة الخليج العربي التاريخية بين مجمل النشاطات الحضارية للشرق الادنى القديم . وغدت الدراسات التاريخية والحضارية لهذا الركن من الوطن العربي تستند الى ركام هائل من المخلفات الاثرية والشواهد المادية والكتابات المتعددة ، والتي تشكل بمجموعها المراجع الوثيقة في تاريخ وحضارة الخليج العربي القديمة .

ومن مسلمات الدراسة التاريخية ، الحديث عن المصادر في انواعها المختلفة وقوة دلالاتها وصحة معلوماتها . ومن محاسن الصدف ان دراسة تاريخ وحضارة الخليج العربي تعتمد الى وقتنا الحاضر على اهم المصادر في الدراسات التاريخية وأوثقها ، ألا وهي المخلفات الاثرية .

ومما يزيد هذه المخلفات الاثرية اهمية انها تجد صدى في مجموعة من الكتابات المسمارية التي وصلتنا من مدن العراق القديم المختلفة ، وبخاصة منها النصوص الاقتصادية التي توضح ابعاد الصلات التجارية بين الجانبين ، وما يعكسه عمق الصلات التجارية من آثار على العلاقات الحضارية والبشرية .

كان الخليج العربي ولا يزال منفذا طبيعيا سهل المواصلات نحو البحار الدافئة ، ولكونه يعد بحرا مغلقا ، وأعماق مياهه قليلة (تتراوح ما بين ٢٠ ــ ١٠٠ م) . كما تتوافر في بعض مناطقه المياه العذبة (في البحرين مثلا) ،

---

* استاذ مساعد بقسم الآثار ــ جامعة بغداد . يقوم بالتدريس منذ ١٩٦٦ وهو عضو في الجمعية العراقية للمؤرخين والآثاريين . من مؤلفاته : **تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم . وآثار الخليج والجزيرة العربية .**

ويتعرض الى حركة ، رياح كثيرة التبدل في اتجاهاتها ، فقد غدا بخصائصه تلك مشجعا لوسائط النقل القديمة بالتحرك في اقسامه المختلفة منذ فترات تاريخية مبكـــرة .

ومثلما شجعت هذه الظروف الطبيعية للخليج العربي سكانه القدماء على التعامل مع البحر سفرا وصيدا ، شجعت من جانب اخر مراكز الحضارات المطلة عليه للاستفادة منه بشكل كبير ومنذ فترات تاريخية مبكرة ، وكان من ابرز المراكز الحضارية ذات العلاقة التاريخية الوثيقة بالخليـــج العربي ، بـــلاد وادي الرافدين . (١)

وبسبب قدم وديمومة العلاقات بين العراق والخليج العربي ، فقد انعكس اثر ذلك في العديد من المخلفات الاثرية وفي الكثير من النصوص المسماريـــة العراقية . لذلك كان العراق القديم في آثاره وكتاباته المرآة التي تنعكس عليها صورة النشاطات الحضارية للخليج العربي . (٢)

لقد ساهم علم قراءة النصوص القديمة في اماطـــة اللثام عـــن كثير من تفصيلات الحياة والحضارة لبعض المراكز القديمة ، ومن ابرزها مركز حضارتي مصر والعراق . فبفضل معلومات النصوص المسمارية او الهيروغليفية ، اصبح بامكان الباحثين، الحديث باسهاب عن جوانب تاريخية او سياسية، او اقتصادية، كما ان هذه النصوص قدمت خدمات كبيرة لدراسة مراكز حضارية اخرى كان لها بعض اشكال الصلات مع بلاد وادي الرافدين ومصر .

لذلك افادتنا النصوص الهيروغليفية والمسمارية في معرفة جوانب متعـــددة من التاريخ السياسي لبلاد الشام والاناضول ، كما كانت معلومات النصوص المسمارية عن ايران والخليج العربي والجزيرة العربية كبيرة الاهمية .

ومقابل هذه المساهمة الكبيرة التي تتيحها النصوص المقروءة من بعض مراكز الحضارات القديمة ، نصادف مراكز اخرى لا تتوافر فيها كتابات قديمة كالخليج العربي ، او ان كتاباته القديمة تتعذر قراءتها على الباحثين الى الوقت الحاضر ، كمركز حضارة وادي السند وبلاد عيلام . فالامر سيان في وجودهـــا او عدم وجودها .

لذلك نضطر للتوسل بكافة الشواهد المكتوبة ، المباشرةمنها وغير المباشرة، ومن كافة المراكز الحضارية القديمة ، في تجميع المعلومات التاريخية والحضارية عن هذه المراكز ومنها الخليج العربي .

وهكذا ، وبموجب الملاحظات العامة التي تعترض طريق الباحثين في تاريخ الخليج العربي القديم وآثاره ، نستطيع أن نعين المصادر الرئيسية التالية :

١ ــ المخلفات المادية .

٢ ــ الوثائق التاريخية المدونة .

أ ــ المخلفات المادية :

ونعني بها كافة اشكال المخلفات الاثرية التي تركها سكان الخليج العربي القدماء ، سواء كانت كبيرة الحجم ظاهرة فوق سطح الارض كالمدافن وبقايا الابنية ، او المخلفات الصغيرة الحجم المخبأة في باطن المستوطنات القديمة ، حيث نصل اليها من خلال جهود المنقبين الآثاريين .

والاثر مهما كان شكله او حجمه او نوعه او مادته ، يحمل جانبا من حياة صانعه او لابسه او ساكنه . كذلك تكتنز المادة الاثرية المكتشفة العديد من الدلالات عن المستوى الفني والمهارة والاتصالات الحضارية والنشاطات التجارية ، ويصل عمق دلالة الاثر حتى في الكشف عن الجوانب الفكرية والروحية للقدماء .

ولكن الآثار المادية قبل ان تصبح مادة دراسية جاهزة للمؤرخ ، تمر بسلسلة من الاعمال الفنية والعلمية تعرف بالتنقيبات الاثرية . وللتنقيبات الاثرية في الخليج العربي تاريخ يجدر بنا ان نعرض له بايجاز ، لاننا بتتبع مجرى الاعمال التنقيبية التي نفذت في الخليج العربي ، نستطيع ان نشخص قيمة الآثار ودلالاتها ، وامكانيات عمل المستقبل في هذا الميدان .

اذا كانت المعلومات التي كشفت عنها كتابات الكلاسيكيين (يونان ورومان) في عصر النهضة العلمية قد اثارت بعض المحافل العلمية في اوروبا ، لما تضمنته من اشارات الى تاريخ عريق وحضارات مزدهرة في بلدان الشرق القديم ، فقد كانت دهشة الاوروبيين بالغة وعجبهم كبيرا وهم يواجهون بعض البقايا البنائية والعمرانية والفنية الرائعة لاصحاب الحضارات الشرقية القديمة .

لذلك عرف الاوروبيون ومنذ القرن الخامس عشر الميلادي أنهم يستدلون على مراكز المدن ومقار الحضارات القديمة من بعض بقايا الآثار الشاخصة . وحدث مثل ذلك في الخليج العربي ، فقد لفتت انتباه بعض المعنيين بالآثار من ضباط البحرية البريطانية في أواخر القرن الثامن عشر ، ضخامة حجم وعدد تلال

الدفن التي تتركز في الاقسام الوسطى من جزيرة البحرين .

وكانت الآثار المصرية والعراقية بما قدمته من كنوز وعاديات ثمينة وقطع فنية رائعة ، قد تركت صدى واسعا في معظم انحاء اوروبا ، وبخاصة في معاهدها العلمية . لذلك كان شغف بعض الضباط البريطانيين بالحصول على بعض الشهرة او المال من خلال التنقيب في هذه المدافن كبيرا .

ولم تكن علاقة الضباط البريطانيين بالآثار مقتصرة على جهودهم في الخليج العربي ، بل في مناطق اخرى عديدة من مراكز الحضارات القديمة ، نذكر على سبيل الحصر جهود الضابط البريطاني السير هنري رولنسون ومساعيه في استنساخ وقراءة النصوص الثنائية اللغة المدونة على جدران ابنية العاصمة الاخمينية « برسيبوليس » وأخيرا نجاحه الكبير في استنساخ نص بيستون المشهور، ومن ثم توصله الى قراءة رموز الخط المسماري العراقي القديم . (٣)

ترتبط اولى الاعمال التنقيبية في مدافن البحرين باسم الضابط البريطاني الكابتن ديوراند عام ١٨٧٩ ، ولكن بسبب قلة خبرة هذا الضابط في مجال التنقيبات الاثرية ، وتعرض معظم القبور التي فتحها لاعمال سرقة سابقة ، لم يوفق في الحصول على عينات اثرية ، كما أن اعماله هذه لا تسجل شيئا في الجانب العلمي لاعمال التنقيبات ونتائجها ، سوى انها تشكل البداية الاولى لهذه الاعمال . ولكن من جانب آخر ، فقد وفق هذا الضابط الى اكتشاف حجرة بيضوية الشكل ، كانت اثناء اكتشافها مستخدمة في بناء احد المساجد في البحرين .

ان اهمية هذه الحجرة تبرز من كونها تحمل كتابة بالخط المسماري وزعت علاماتها في أربعة حقول افقية تقرأ ترجمتها ما يلي : قصر ريموم ، خادم الاله انزاك ، رجل أكاروم . (٤)

وعلى الرغم من عدم اكتشاف هذه الحجرة في موضعها الاصلي ، لكن لانها تحمل اسم الاله انزاك ، وهو الاله المحلي لدلمون كما تكشف ذلك العديد من النصوص المسمارية العراقية ، فالمعتقد ان الحجرة كانت في الاصل حجرة اساس تذكارية لبناء واحد من المعابد او القصور في البحرين (دلمون القديمة) .

ولسوء الحظ فقدت هذه الحجرة المهمة فيما بعد ، ولولا عملية تصويرها واستنساخ كتابتها ، لاصبحت معلوماتها ايضا في عداد المفقودات .

لم تتوقف جهود الضباط البريطانيين في مواصلة الكشف عن مقابر البحرين،

فقد عمد الكولونيل برادوكس في عام ١٩٠٦ ، الى فتح مجموعة اخرى من هذه المدافن ، وكان منها بعض مدافن منطقة « عالي » الكبيرة الحجم . ولكن يبقى التحفظ الذي يحيط بأعمال ديوراند ساريا بالنسبة لاعمال برادوكس ايضا ، **ويمكننا ان نؤرخ لبداية الاعمال التنقيبية العلمية في الخليج العربي بمنتصف العقد الثالث من قرننا الحالي ، وذلك عندما عمد ارنست مكاي الى حفر مجموعة من قبور البحرين** ، ورسم لنا مخططاتها ، ووصف موجوداتها بكل تفصيل، وأرنست مكاي هذا رجل آثار ومتخصص في أعمال الحفريات الاثرية ، وتسجل باسمه التنقيبات التي شهدتها مدينة كيش الاثرية في العراق (شمال بابل بقليل) كما أنه نال شهرة واسعة بفضل مساهماته الكبيرة في تنقيبات موهنجودارو في وادي السند . (٥)

ولكن ارنست مكاي او الضباط الذين سبقوه في التنقيب في البحرين ، لم يوفقوا في تعيين المستوطنات السكنية القديمة لاهل البحرين ، فدفعهم ذلك للاعتقاد بأن جزيرة البحرين اعتمدت مكانا للدفن من قبل سكان الارض العربية المجاورة .

وساهم الدكتور كورنوال في جهود واسعة للكشف عن آثار الخليج العربي، وكان ذلك خلال الحرب العالمية الثانية ، فقام بعملية مسح آثارية شملت المناطق الساحلية ما بين القطيف والاحساء ، ونجح في تشخيص عدد من المقابر التلية المشابهة لمقابر البحرين ، ولكنه صرف جهوده لاحقا لاثبات كون دلمون القديمة تتطابق مع بلاد البحرين . (٦)

واضافة الى هذه الجهود المتفرقة في دراسة آثار الخليج العربي وتاريخه القديم ، كان بعض العاملين في شركات النفط في منطقة الخليج العربي من هواة الآثار ، يصرفون بعض اوقات فراغهم وأيام عطلهم في جمع الملتقطات السطحية من القطع الاثرية وكان بعضها ثمينا بدلالاته التاريخية ، كما ان بعض هذه القطع الاثرية عرضت على اعضاء البعثة الاثرية الدانمركية في تاريخ لاحق للتحقق منها ومعرفة هويتها وتاريخها . (٧)

بقيت صيغة الاعمال العلمية في حقلي الاستكشاف والتنقيب الاثريين لمنطقة الخليج العربي متخلفة كما ونوعا ، وكانت المعلومات التاريخية والحضارية التي تعكسها نتائج الاعمال السابقة مشوشة وغير واضحة . وبقي الحال كذلك حتى مطلع الخمسينات ، عندما باشرت بعثة التنقيب الدانمركية التابعة لجامعة يارخوس في الدانمرك ، أعمالها العلمية الواسعة في الخليج العربي .

وعلى الرغم من كل المآخذ التي اثيرت وتثار على اعمال هذه البعثة ، فهي تسجل — دون ادنى ريب — بداية النشاطات العلمية الواسعة والصحيحة لاستكشاف الماضي تاريخا وحضارة في هذا الركن من الوطن العربي .

بدأت البعثة الدانمركية اعمالها بموسم استكشافي سنة ١٩٥٣ في البحرين ، حيث اعقبته مباشرة في عام ١٩٥٤ بالتنقيب في اسافل جدران قلعة البحرين الكائنة على الساحل الشمالي الشرقي للجزيرة ، وهي القلعة البرتغالية التي تبث من خلال أعمال التنقيب انها تستند على بقايا قلعة اسلامية ، تخفي الاخيرة بدورها ، اسفل جدرانها ، جانبا من بقايا ابنية واسعة وضح بعد عدة مواسم تنقيبية فيها ، انها بقايا مدينة قديمة تتسلسل فيها الطبقات البنائية زمنيا لتحصر تاريخا طويلا للمدينة يمتد ما بين الاف الثالثة قبل الميلاد . والى حدود العهد الهليتستي (القرن الثالث ق.م.) . وبسبب كثرة الادلة الاثرية من هذه المدينة سواء كانت في اشكال الابنية او انواع المخلفات الاثرية كالاختام والفخاريات ولقى متفرقة اخرى تؤكد جميعها الصلات الوثيقة بحضارة العراق القديم ، اجتهد المنقبون الدانمركيون وسموها باسم دلمون بموجب التسمية القديمة لهذه المدينة . (٨)

ولم تقتصر جهود البعثة الدانمركية في البحرين على التنقيب في بقايا دلمون وسبر طبقاتها المتعددة ، بل وسعت البعثة من حدود نشاطها لتشمل المدافن ، ولتضع حدا للجدل الطويل الذي رافق اكتشاف بعض هذه المدافن .

وعلى الرغم من ان البعثة لم توفق لاكتشاف مدافن بحالة سليمة لم تتعرض لاعمال سرقة ونبش سابقين ، فانها نجحت في ربط المدافن بمدينة دلمون بسبب تشابه موادهما الاثرية . ومن صدف الاكتشاف ، ان البعثة الدانمركية اثناء حفرها في تل كبير شمالي الجزيرة قرب قرية باربار ، كشفت عن بقايا معبد قديم بيضوي الشكل سمي بمعبد باربار ، قدم من خلال طراز تخطيطه البيضوي ومواده الاثرية الكثيرة ، وبخاصة منها التي عثر عليها في قاع الحوض المجاور لجدار المعبد ، دلائل كافية للارتباط الحضاري الوثيق بين الخليج العربي وبين العراق. وجدت البعثة الدانمركية ان حصر اعمالها بالبحرين يقلل امامها فرص الوصول الى رسم صورة كاملة الابعاد للنشاط الانساني القديم في الخليج العربي ، لذلك عملت منذ عام ١٩٥٨ على نقل جانب من نشاطها الى فيلكا ، الجزيرة الصغيرة التي يحتضنها ساحل الكويت . وكان تصور البعثة صائبا عندما شخصت بقايا معبد يرجع لحدود الالف الثالثة ق.م. وموقعه في التلين الاثريين المعروفين باسمي سعد وسعيد . كذلك كانت البعثة موفقة في الكشف عن بقايا البناء الهلينستي بمعبده المميز وكثير من اللقى الاثرية التي من أبرزها اللوحة الحجرية

التي تحمل كتابة يونانية ، وردت بين ثناياها اشارة لكون اسم الجزيرة على العهد الهلينستي (أيكاروس) ، وهو ما يتطابق مع التسمية التي اوردها الكتاب الكلاسيكيون بخصوص فيلكا . (٩)

وكان من ابرز المكتشفات الاثرية في فيلكا تلك المجموعة الفريدة من الاختام التي تتميز باشكالها الدائرية المنبسطة وموضوعاتها الخاصة ، ويربو عددها على (٤٠٠) ختم ، وهي تتشابه في موضوعاتها وتتطابق في اشكالها مع مجموعة الاختام المكتشفة في البحرين التي لا يزيد عددها عن (٨٠) ختما .

ان هذه الاختام المنبسطة الدائرية الشكل تحتل اليوم مكانة متميزة في دراسة الاختام القديمة ، وبسبب اختلافها شكلا وموضوعا عن الاختام المنبسطة المربعة الشكل السندية القديمة ، وكذلك اختلافها شكلا وتقاربها موضوعا مع الاختام الاسطوانية العراقية ، يجتهد بعض الباحثين ويعتبرها تمثل طرازا خاصا في صناعة الاختام القديمة يرتبط بالخليج العربي ، حيث يمكننا ان نسميها باختام الخليج العربي . (١٠)

وسعت البعثة الدانمركية من حدود نشاطاتها العلمية لتشمل بعض مناطق ابو ظبي (دولة الامارات العربية المتحدة) وبخاصة في جزيرة ام النار التي قدمت لنا مجموعة من المقابر الحجرية الدائرية الشكل الجميلة ببنائها وعمارتها ، وفي منطقة العين وحفيت حيث استكشفت مجموعة اخرى من المدافن كان من بينها مدافن هيلي المشهورة التي تعد من اروع ابنية المدافن الخليجية شكلا وعمارة .

كذلك كانت للبعثة مساهمتها في الكشف عن المستوطنات الحجرية القديمة في شبه جزيرة قطر . (١١) واخيرا اجرت البعثة مسحا اثاريا للمنطقة الساحلية من الخليج العربي في حدود المملكة العربية السعودية ، ونجحت في تشخيص العديد من المواقع الاثرية الاسلامية والقديمة ، حيث كانت من ابرزها بقايا مدينة التاج التي تبعد عن شمال غرب الظهران مسافة ١٥٠ كيلومتر في عمق الارض العربية . ان بقايا هذه المدينة بسورها الحجري الضخم وبدلائل ملتقطاتها السطحية التي تقدم تاريخا يرجع لحدود القرن الثالث ق.م. ، انما تقدم فرصة جيدة لاعمال تنقيبية واسعة ننتظر تنفيذها بفارغ الصبر . (١٢)

كما وفقت البعثة في تشخيص بعض المستوطنات العبيدية على امتداد ساحل القطيف والى حدود الظهران (المستوطنات العبيدية نسبة الى موقع تل العبيد الاثري في جنوبي العراق وهو يمثل اول قرية زراعية في القسم الجنوبي لبلاد وادي الرافدين ، ويرجع تاريخه لحدود الالف الرابعة ق.م. ، ويتميز بفخار

صنع على دولاب الفخار شديد الحرق ، زخرفته عبارة عن خطوط طوليـــة تلف بدن الاناء او افقية او متقاطعة رسمت بلون اسود او بني غامق) . (١٣)

تعتبر جهود البعثة الدانمركية التي واصلت اعمالها حتى السبعينات من أوسع الجهود العلمية التي شهدتها منطقة الخليج العربي ، ولولا بعض المآخذ على عمل البعثة ، ومن ابرزها ما يتعلق بنشر النتائج والدراسات الكاملة ، لكانت اعمالها — على الارجح — من أنجح الاعمال . وأصدرت البعثة تقارير اولية عن سير اعمالها وبعض النتائج الاولية في مجلة دورية تصدر عن جامعة يارخوس في الدانمرك اسمها Kuml" (١٤) ، حيث نجد في اعداد المجلة منذ عام ١٩٥٤ والى السبعينات ، مقالات متفرقة عن نشاطات البعثة في الخليج العربي ، كتب معظمها P.V. Glob رئيس البعثة او G. Bibby احد ابرز العاملين فيها ، او غيرهما من الاعضاء العاملين مثل P. Mortensen و K. FreiFelt, وغيرهما .

كما اصدرت البعثة تقريرا عن حفرياتها في فيلكا ترجم الى اللغة العربية من قبل وزارة الاعلام الكويتية (وكانت وقتها تسمى وزارة الارشاد والانباء) . (١٥)

وخططت البعثة الدانمركية لاصدار سلسلة دراسات تفصيلية موسعة لنتائج اعمالها في الخليج العربي وبعض اوجهه الحضارية ، وهذا ما اشار اليه الجزء الاول من نشريات الخليج العربي ، الذي حصر المعلومات التفصيليـــة للمستوطنات الحجرية في قطر . (١٦)

ولكن للاسف الشديد ، لم يعقب صدور هذا الجزء أية دراسة ثانية . ومن أهم الاعمال التي تسجل جوانب مختلفة من نشاط البعثة الدانمركية ونتائـــج أعمالها ، المحاولة التي نفذها G. Bibby عندما اصدر في عام ١٩٧٠ الكتاب الوحيـــد عـــن آثار الخليـــج العـــربي وعنوانـــه « البحـــث عن دلمـــون Looking For Dilmun » وعلى الرغم من كل الاعتبارات العلمية في وضع هذا الكتاب ، فانه لا يزال الكتاب الوحيد والثمين عن آثار الخليج العربي .

ولم تنقطع جهود المنقبين الدانمركيين عن متابعة اعمالهم في الخليج العربي ، حيث يواصلون حاليا اعمالهم في بعض المواقع الاثرية في سلطنة مسقط وعمان وذلك ما تشير اليه تقارير حفرياتهم لعام ١٩٧٥ — ١٩٧٦ .

ان النتائج المثيرة التي كشفت عنها تنقيبات البعثة الدانمركية في الخليج العربي ، اثارت اهتمام المزيد من العلماء والباحثين ، فوجه بعضهم عنايته للكشف

عن اواصر الصلات بين حضارة الخليج العربي وبين مراكز الحضارات المجاورة ، وبخاصة مع بلاد وادي الرافدين .

وبسبب الاهمية المتزايدة التي احتلتها معلومات التنقيبات في الخليج العربي ، عقد مؤتمر آثاري في البحرين عام ١٩٦٩ ، لمناقشة الاراء المختلفة بخصوص الآثار المكتشفة . كما قدمت فيه دراسات قيمة عن اختام الخليج العربي وعن صناعة الاواني المعمولة من حجر الاستبتايت (الحجر الصابوني) ، وعن تنقيبات تيه يحيى (موقع أثري جنوبي غرب ايران على الحدود الباكستانية) .

وهكذا خرجت دراسات تاريخ وآثار الخليج العربي من نطاق الاعمال الضيقة الى اهتمامات المحافل العلمية الآثارية الواسعة ، وتسببت في الاهتمام المتزايد الذي تشهده آثار الخليج العربي محليا وعربيا وعالميا . (١٨)

ففي الستينات يتوجه عبد الله مصري لاستكشاف مجموعة من المستوطنات العبيدية على ساحل الخليج العربي ، ويدرس موادها الاثرية ، ويعلل أسباب قيامها ويحاول تعيين صلاتها ، لتكون دراسته هذه فيما بعد المادة العلمية لاطروحة دكتوراه قدمها عام ١٩٧٢ الى جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية واجيز عنهـا .

ولان دراسة الدكتور عبد الله مصري تتعلق بالمستوطنات العبيدية فذلك ما اثار الباحثة البريطانية G. Oates ، المتخصصة بفترة حضارة العبيد ، لتستعرض اولا في مقال لها اطروحة الدكتور مصري (١٩) ولتعقبها بدراسة اخرى (٢٠) قدمت خلالها دراسة تحليلية للمستوطنات العبيدية في الخليج العربي تستند في استنتاجاتها على نتائج التحليلات الكيميائية التي اجريت لعينات من الفخار من المستوطنات العبيدية في الخليج العربي ، واخرى من مستوطنات عبيدية في جنوبي العراق . ومع اختلاف G. Oates عن الدكتور مصري في طرحهما للموضوع ونتائج دراستيهما ، فانهما قدما من خلال ذلك معلومات قيمة عن مرحلة مبكرة من النشاط الانساني في الخليج العربي .

ان دراسة المستوطنات العبيدية في الخليج العربي التي تندرج تحت دراسة العصور الحجرية ، شجعت المنقبين الفرنسيين لمواصلة اعمال البعثة الدانمركية في قطر ، حيث بدأوا اعمالهم في عام ١٩٧٦ . (٢١)

كذلك يواصل زملاء لهم نشاطات تنقيبية في منطقة جبل حفيت في دولة الامارات العربية المتحدة . وقد أصدروا تقرير موسمهم الاول الذي ترجمته وزارة

الثقافة في دولة الامارات الى العربية ، وهي مشكورة بعملها ذلك ، لا لانهـا ترجمته الى العربية فحسب ، بل لانا وفرت مادته العلمية ووضعتها بين ايدي الباحثين العرب . (٢٢)

اقتصرت النشاطات العلمية في حقلي الاستكشاف والتنقيب في الخليج العربي على الأقطار التي سلفت الاشارة اليها ، ولم تكن سلطنة مسقط وعمـان مشمولة بهذه النشاطات حتى حلول عام ١٩٧٤ ، عندما تدفقت الى السلطنة عدة من البعثات الاثارية ، تستكشف وتنقب هنا وهناك في اقسام بلاد عمان ، ولتزيل الغموض أمام الكثير من الاستفسارات التي بقيت بلا اجابة ترضى الباحثين .

تمثل عمان الحد الجنوبي للخليج العربي ، وهي بموقعها هذا تشكل حلقة الوصل الرئيسية بين الخليج العربي وبين ساحل حضرموت وبلاد اليمن . وبسبب موقع صحراء الربع الخالي وخطورة التوغل فيها ، يكون طبيعيا ان نفتش عن طرق الانتقال والاتصالات بين الخليج العربي وجنوبي الجزيرة العربية من خلال عمان . وتطل عمان على المحيط الهندي من خلال خليجها المشهور « خليـج عمان » ، الذي اسهم بنصيب بارز الخطورة في الملاحة البحرية بين بلاد العرب وشواطىء الهند الغربية منذ فترات مبكرة من تاريخ هذه البلاد ، واستمر نشاطه الى حدود القرن الثامن عشر .

وتتهيأ في كثير من مناطق عمان فرص جيدة للزراعة وبخاصة في سفـوح الجبال ووديانها في منطقتي الظاهرة والباطنة . وبالاضافة الى نسبة سقـوط الامطار الجيدة التي تسقط على مناطق الجبال ، فقد ابتكر العمانيون ومنـذ فترات تاريخية قديمة سبلا بارعة في الاستفادة من المياه الجوفية ، ولا تزال بعض المناطق في عمان تعتمد في ري مزروعاتها وبساتينها على نظام القنوات الذي يعرف محليا في عمان بالافلاج . (٢٣)

وبالاضافة الى جميع هذه الخصائص في بلاد عمان ، فلجبالها شهرة تاريخية في توفير خامات المعادن التي يبرز النحاس من بينها في المقام الاول .

جاءت نتائج الاعمال الاستكشافية والتنقيبية في ربوع عمان مؤيدة تماما لهذه الملاحظات . فقد ثبت من انتشار طراز المدافن الدائرية المكتشفة في ام النار وهيلي على الساحل الجنوبي للخليج العربي ، وعلى اطراف السفوح الشمالية لجبال عمان بالقرب من قرية بات في مدينة ابري ، الصلات الحضارية الوثيقة بـين الخليج العربي ومشارف العربية الجنوبية . حيث لاتزال مدينة ابري تحتل موقعا رئيسيا على طرق القوافل بين ساحل حضرموت وبين الخليج العربي . كذلك اكتشفت بقايا مناجم صهر النحاس القديمة في اطراف الجبال الوسطى العمانية .

والمهم في الحديث عن هذه المناجم الاولى ، انها ارخت بحدود الالف الثالثة قبل الميلاد ، وذلك ما يتفق مع اشارات النصوص المسمارية التي ورد فيها مرارا كون الخليج العربي من مراكز تصدير النحاس الرئيسية الى العراق القديم .

وقد خطت سلطنة مسقط وعمان خطوة جيدة باصدارها مجلة اثاريـــة متخصصة ضمنتها نتائج اعمال الكشوف والتنقيبات الاثارية التي نفذت في مناطق الاثار المختلفة من عمان . (٢٤)

* * *

شهدت سنوات الستينات والسبعينات من قرننا الحالي وعيا اثاريا متزايدا، واهتماما كبيرا بجوانب التاريخ القديم والحضارة في الخليج العربي من قبـل الاقطار الخليجية نفسها ، بالاضافة الى اهتمام بعض الاقطار العربية الاخرى ، وبخاصة اهتمام المؤسسة العامة للاثار والتراث في الجمهورية العراقيـة . فبالاضافة الى ما نشر في دوريتها المشهورة « سومر » من مقالات وبحـوث تتناول تاريخ وحضارة الخليج العربي ، فقد بذلت مساع حميدة في اعمـال الكشف والتنقيب والصيانة الاثرية في بعض اقطار الخليج العربي .(٢٥)

وقد اولت دولة الامارات العربية المتحدة مزيدا من العناية بحقلي التنقيب والصيانة ، سواء كان ذلك من خلال التعاون مع هيئات علمية من بعض الاقطار العربية او الاجنبية ، او من خلال جهود دائرة الاثار فيها . ونتيجة لذلك ، نعرف اليوم عن مواصلة بعثة فرنسية اعمالها التنقيبية في بعض اطراف دولة الامارات .

وقد اصدرت البعثة الفرنسية تقرير موسم عملها الاول الذي ترجمته ادارة الاثار في الامارات الى اللغة العربية وعملت على توزيعه وهو ما اشرنا اليه سابقا .

وتشارك دولة قطر في الجهود الرامية للكشف عن اسرار ماضي الخليج العربي وحضارته ونشاط سكانه ، وذلك من خلال اتفاقيتها مع بعثة اثارية فرنسية ايضا ، حيث تصب البعثة جهودها في دراسة المستوطنات الحجرية في شبه جزيرة قطر . وقد صدر للبعثة الفرنسية تقرير اولي عن اعمالها ، ترجم الى العربية ايضا بفضل جهود المشرفين على الاثار في قطر . (انظر هامش رقم ٢١) كما القى احد اعضاء البعثة الفرنسية تقريرا علميا (في ندوة علمية عقدت فـي باريس) ضمنه بعض الملاحظات عن المستوطنات العبيدية . (٢٦)

أما دولة البحرين ، فتساهم دائرة الاثار فيها ببعض الاعمال التنقيبية على انفراد ، او بالتعاون مع بعض البعثات العربية والاجنبية ، ولكننا بعد انقطاع اعمال البعثة الدانمركية في البحرين وتوقف نشرياتها بسبب ذلك ، نفتقر تماما الى أية نشرة او تقرير للاعمال المنفذة لاحقا . (٢٧)

أما المناطق الساحلية للخليج العربي ضمن حدود المملكة العربية السعودية، فانها ، عدا جهود عبد الله مصري التي تركزت في المستوطنات العبيدية ، وجهود البعثة الدانمركية التي اقتصرت على الاستكشاف الاثري وتعيين مواطن الاثار وتقديم ملاحظات اولية بشأنها ، لم تشهد أية اعمال تنقيبات لاحقة . وربما يعود ذلك لانهماك دائرة الاثار في المملكة العربية السعودية بمسح اثاري عام لجميع اقسام المملكة ومناطقها الشاسعة . وقد حققت دائرة الاثار السعودية انجازا عظيما بنشر نتائج مسوحاتها الاثرية في كتاب واسع يضم العديد من الصور وخرائط المناطق المسوحة عنوانه « مقدمة عن اثار المملكة العربية السعودية»(٢٨)

وكانت اقسام ساحل الخليج العربي (المنطقة الشرقية) من بين المناطق التي شملها المسح الاثاري ووقف عند معالمها ، ومن بين ابرزها بقايا مدينة « الثاج » التي كشفتها البعثة الدانمركية سابقا ، والتي تثير ملتقطاتها السطحية وبقايا معالم سورها الحجري الضخم ، احتمالات اقترانها بمدينة الجرهاء القديمة.

اما في دولة الكويت ، فلا نعرف اعمالا تنقيبية تذكر الا تلك الاعمال التي نفذتها البعثة الدانمركية لبضعة مواسم استغرقت المدة المحصورة ما بين ١٩٥٨ — ١٩٦٣ ، وقد لخصت نتائج هذه الاعمال في الكتاب الذي اصدرته وزارة الاعلام الكويتية . (٢٩)

وما دام الحديث عن المصادر ، فلا بد لنا من الاشارة لبعض الجهود الشابة في الكويت ، فقد صدر للدكتور سليمان سعدون البدر كتابان ، هما في الاصل اطروحتان نال بهما المؤلف درجة الماجستير والدكتوراه . ويعدان من المصادر العربية النادرة التي تعني بالتاريخ القديم والحضارة في الخليج العربي . (٣٠)

يتضح مما عرضناه سابقا انه على الرغم من الجهود العلمية المتواصلة في حقلي الاستكشاف والتنقيب الاثريين التي تنفذها اقطار الخليج العربي ، فانها ما تزال دون المستوى المطلوب الى حد بعيد ، كما ان من ابرز المآخذ التي تسجل على مجمل هذه الاعمال ، عدم التنسيق والتعاون بين الاقطار الخليجية بشأنها ، والاخطر من ذلك هو عدم نشر نتائج اعمال التنقيبات او التحريات الاثرية وتبادل المعلومات بين الهيئات العلمية العربية ، وعدم عقد الندوات او المؤتمرات التي تناقش نتائج هذه الاعمال .

ان كافة الادلة الاثارية تشير الى وحدة حضارية متينة ربطت اقسام منطقة الخليج العربي في حركته التاريخية ، لذلك يجب ان ترقى الاعمال العلمية الى مستوى حقيقة الوحدة الحضارية لاقطار الخليج العربي في ماضيه وحاضره .

وحتى تكون نتائج التنقيبات في الكويت مثلا ، تكمل بعض الحلقات المخفية او المفقودة من سلسلة متطورة لعنصر حضاري ، او انها تجيب على بعض الاستفسارات التي تثيرها نتائج اعمال مواقع اخرى ، ندعو مخلصين ، كافة العاملين في حقول الاستكشاف والتنقيب والدراسات الاثرية الى مزيد من التعاون واللقاءات ونشر النتائج .

ان الذي عرضناه يتناول جانبا من المصادر الاساسية لدراسة تاريخ وحضارة الخليج العربي ، الا وهي المصادر المادية التي توفرها اعمال التنقيبات ونتائجها ، بينما توفر لنا المصادر المدونة معلومات قيمة وواسعة من تاريخ وحضارة الخليج العربي ، لا غنى للبحث العلمي عنها . ولكن بسبب سعتها وتشعب موضوعاتها تخصص لها دراسة منفصلة قادمة باذن الله .

الهوامش

1– Leemans, W.F., **Foreign Trade in Old Babylonian Period.** Leiden, Brill, 1960.

٢ – ستتناول الكتابات المسمارية في تطرقها للخليج العربي ونحلل معلوماتها في مقالة قادمة نأمل أن تجد النشر على صفحات هذه المجلة .

٣ – كريمر ، صموئيل نوح . **السومريون** . ترجمة د. فيصل الوائلي ص ١٧–١٩ ، وكالة المطبوعات – الكويت ١٩٧٣ .

4– Bibby, Geoffrey. **Looking For Delmun.** Proof Edition Book, 1973, pp. 35–37.

5– **Ibid.** p. 32 ff.

6– Cornwall, P.B. "On the Location of Dilmun" **BASOR,** 103 (1946). pp. 3–11.
Cornwall, P.B. "Two Letters from Dilmun" **JCS,** VI (1952 pp. 137–145.

٧ – نشير بشكل خاص لجهود المعلمة الأمريكية في مدارس شركة النفط أرامكو في الظهران G. Burkholder التي كانت وراء تشخيص عدد من المستوطنات العبيديه لأول مرة . أنظر (رضا الهاشمي) : « وحدة العناصر الحضارية في الخليج العربي في ضوء المخلفات الأثرية » ، **مجلة بين النهرين** ، العدد /٢٧/ بغداد ١٩٧٩ .

٨ – رضا الهاشمي : « البحث عن دلمون » عرض لكتاب Looking for Dilmun **مجلة كلية الآداب** – بغداد ، العدد /١٩ – ١٩٧٢ .

٩ – فؤاد جميل : **أريان يدون أيام الاسكندر الكبير في العراق** . (ترجمة وتعليق) سومر بغداد / ١٩٦٢ .

10– Porada, Edith, "Remarks on Seals Found in the Gulf States". **Artibus Asiae,** XXXIII, 4 (1970) p. 332 ff.

11– Kapel, Holger. **Atlas of the Stone-Age Cultures of Qatar,** AARHUS University Press, Denmark, 1967.

١٢ – **مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية** . ادارة الآثار والمتاحف ، وزارة المعارف ، الرياض / ١٩٧٥ ص ٣٧–٣٨ .

١٣ – بخصوص موضوع المستوطنات العبيدية في الخليج العربي أنظر المقالة المشار اليها في الهامش رقم (٧) سابقاً لرضا الهاشمي .

14– KUML. **The Year Book of the Jutland Archaeological Society.** Aarhus, Denmark.

١٥ – تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا . ١٩٥٨–١٩٦٣ ، وزارة الإرشاد والأنباء ، إدارة الآثار والمتاحف – الكويت .

١٦ – الكتاب المشار إليه في الهامش (١١) أعلاه .

١٧ – وقد أعيد طبع الكتاب في عام ١٩٧٣ "Proof Edition Book" وهي الطبعة التي اعتمدناها في الحصول على بعض المعلومات .

18– Somer Results of the Third International Conference on Asian Archaeology in Bahrain", March 1970 in **Artibus** Asiae, XXXIII, 4 (1970).

19– Oates, Joan. "Prehistory in Northeastern Arabia" **Antiquity,** vol. L. no. 197 (1976) p. 20 ff.

20– Oates, Joan. "Seafaring Merchant of Ur" **Antiquity,** LI, no. 203 (1977) p. 221 ff.

٢١ – **البعثة الفرنسية الأثرية إلى قطر** . الموسم الأول – وزارة الأعلام ، الدوحة / ٢٩٧٦ – المركز الوطني الوطني للبحث العلمي – باريس .

٢٢ – **الآثار في دولة الامارات العربية المتحدة** : تقرير البعثة الأثرية الفرنسية ، الموسم الأول ، ديسمبر ١٩٧٦ – مارس ١٩٧٧ .

٢٣ – رضا جواد الهاشمي . « الأفلاج : من مشاريع الأرواء العربية القديمة » **مجلة كلية الآداب** /٢٥/ ١٩٧٦ ص ١٥–٤٠ .

٢٤ – وقد قدمت عرضاً لهذه المجلة الآثارية وأبرز بحوثها في مجلة سومر أنظر (رضا الهاشمي : « مجلة آثارية متخصصة » سومر /٣٦/١٩٨٠ .
كذلك أصدرت وزارة الثقافة والإعلام في سلطنة مسقط وعمان نسخة عربية للمجلة أسمتها « مجلة الدراسات العمانية » اختارت لها مجموعة من بحوث ومقالات العددين السابقين بعد ترجمتها إلى اللغة العربية .

٢٥ – أنظر سومر / ١٩٦٥ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ .

24– **The Journal of Oman Studies.** vol. I (1975) vol. II (1976).

26– L. Inizan. **Site A Poterie Obeidienne.**

٢٦ – وهو تقرير ألقته الباحثة في مؤتمر مركز البحث العلمي الفرنسي بباريس ، المنعقد في الفترة ما بين ١٣–١٩٧٨/٦/١٥ .

٢٧ – فيما عدا بعض الإشارات المتفرقة التي صدرت في مجلة « دلمون » التي تصدرها جمعية الآثار في البحرين بالتعاون مع ادارة الآثار .

٢٨ – أنظر هامش رقم –١٢–

٢٩ – أنظر هامش رقم –١٥–

٣٠ – سليمان سعدون البدر . **منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث ن . م . الكويت / ١٩٧٤ .**

ـــــ . منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول ق . م . الكويت / ١٩٧٨ .

دراسة في مصادر تاريخ وآثار الخليج العربي في عصوره القديمة

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١ م

رئيس التحرير **دكتور عبد الله العتيبي**

مدير التحرير **عبد العزيز السيد أحمد**

- أول مجلة عربية تصدر على مستوى عالمي وتتناول الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القاريء والمثقف والمتخصص .
- تتناول المجلة الميادين التاليـــة :

اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية – الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – المسرح – الفنون التشكيلية – النحت .. الخ) – الدراسات الآثارية (الأركيولوجية) .

- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :

البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية

- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية باللغة الانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزيـــة .

ثمن العدد : للأفـــراد ٤٠٠ فلس

للطـــلاب ٢٠٠ فلس

- الاشتراكات السنوية للمؤسسات ١٠ د.ك.

للأفـــراد ٢ د.ك.

للاساتذة والطلاب ١ د.ك.

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- **قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .**
- **جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .**

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت -- (الشويخ -- ت : ٢١٦٣٩ -- ٨١٧٦٨٩ -- ٨١٥٤٥٣)